بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شهرية بعنوان:

الحث على الوحدة والاجتماع ونبذ الفرقة والاختلاف

كتبه

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا الله عنه

شهر رمضان من عام ١٤٤٢ هـ

الحمد لله الذي أنار لنا السبيل بعد حياة القلوب فتميَّز لنا سويَّ الصِّراط بعد التيه في مسالك الدروب، وأوضح لنا صحيح المسير قصداً إلى بناء صرح أُمَّتنا حثيثا لنيل الوعد المرغوب، وأيقظ الهمم فجالت عاليا لا تَنثني عن المراد ولا تحيد عن تحقيق الفقد المطلوب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين أجابوا داعيَ البشير النذير ورسموا بدمائهم أثر المسير وسلكوا بنور النبوة النهج المنير، فيا سعد من اقتفى آثارهم وسار على قويم سبيلهم ليُخرج الناس من رِبقَةِ الكفر إلى سعة الإسلام بقلم التنوير وسيف التحرير.

أما بعد فإن الناظر في الساحة الدعوية في هذا الزمان يصاب بخيبة أمل شديدة ويرجع بصره كسيراً وفؤاده حزيناً من سعة الخلاف الحاصل بين المنتسبين إلى هذه الدعوة، حين يرى معاول الهدم تحملها أيادي الكثير ممن يحسب أنه يحسن صنعاً أو يظن أنه يسير على جادة الطريق وأنه يمضي في نصرة هذه الدعوة ... ولكن للأسف العشوائية في الطرح والتحزب المقيت والهوى الغالب هو الشعار الذي تراه من بعيد وأنت تراقب بصمت تلك الصفحات التي تتخبط في جملة من التناقضات وتدور في حلقة مفرغة وتسير بخطى ثابتة إلى الاضمحلال والزوال على سنن باقي الدعوات الفانية، ومن شدة النزاع قد تجد أشخاصا معدودة لا تكاد تتفق على عقيدة واحدة فلا يلبث الواحد منهم أن يثير مسألة فرعية ـ بعد وفاقهم في الأصول الكلية ـ ثم يبدع أو يكفر بها من خالفه فيها، أو يمتحن غيره في مسائل ليست هي من مسائل المحنة فيزيد الخلاف شقاقاً والفرقة شتاتاً، ولا شك أن هذا من سمات أهل البدع فالبدعة مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة ... للأسف إنه الحال الذي وصلت إليه الطريق التي سلكها بهم الجدال والخصومة دون أصول وقواعد علمية رصينة، وكلٌ يحسب نفسه على شيء وهو ينطلق من لا شيء ويضع قدما راسخة في الفتنة والتمزق والتشرذم بقصد أو بغير قصد، فأدى ذلك إلى افتراق القلوب وكثرة التحزبات والشحناء والبغضاء، وما يقترن بذلك من نية المغالبة وطلب العُلو ولفت الوجوه والتصدر وكثرة المتابعة على منابر الضلالة، وكلها قوادح في النيات والمقاصد والله المستعان.

إن المسلم الحريص على نجاة نفسه من طوق الفتن التي تحيط به والحفرة السحيقة التي قد تهوي به، أن يكون مسارعاً إلى الاستمساك بأسباب النجاة والحرص على زرع بذرتها ورعايتها وسقايتها حتى يشتد عودها ويقوى ساعدها، ومن أعظم أسباب النجاة الجماعة المسلمة وسلوك الطريق إلى بنائها ودعوة الناس إليها ... فإنه الطريقُ الذي يجب على الصفوة في هذا الزمان سلوكه وإلا لتبدد جهدهم في ضياع ... إنه الطريق الأوحد الذي لا مناص من مسارعة الخُطى عليه ولامجال للوقوف أو التردُّد بين جنبيه فإن السكون دحض المزلة ومزاد المذلة ... إنه طريق مليء بالأشواك والعثرات يحتاج إلى قلوب ثابته وخطى راسخة تتجاوز العقبات، وسواعد فتية تزيل الحواجز المتراكمات، وأقدامٌ تُعبِّدُ سبيلا مهجورا قد خيَّم على جنباته دامسُ الظلمات ... إنه الطريق إلى بناء حياض الجماعة المسلمة في غابة الجاهلية التي أطبقت على الأرض اليوم فلم يعد للمسلمين فيها شبرٌ ولا نصيب ... إنه الطريق القويم الذي من سار عليه وصل ولو بعد حين ومن تنكَّب عليه جَرَّ على قومه الويلات وخاب بالخسران والنكبات ... إنه طريق الهُدى الذي لا يستوحشه أهل البصيرة لقلة السالكين ولا تغرنَّهم سُبل الغواية مع كثرة الهالكين ... إن حتمية المضي فيه تتولد من قناعة المسلمين في عدم القدرة على مواجهة الباطل فُرادى إلا ضمن الجماعة المسلمة التي هي بمنزلة الروح لجسد يعيش بين هذه الأنظمة والأوضاع وسط هذه الجاهلية والضباع .... إنه الطريق لإعادة الصحوة الصحيحة لأمة كانت خير أمة أخرجت للناس فاندثرت بين أمم الشرك والوثنية عبر قرون خلت، فَخلفها خُلوفٌ جاهلية بدلت دينها وغيرت جلدتها وباعت قضيتها بثمنٍ بخيس وعوضٍ خسيس.

إن الواجب على القلة المسلمة في هذا الزمان أن تنضبط عندهم الأصول الكلية التي تجتمع عليها الجماعة المسلمة وتتحدد عندهم المرجعية العلمية التي تفصل في مسائل النزاع حتى تنطلق سفينة النجاة في هذا البحر المتلاطم أمواجه بسير لا يحرف وجهتها وثبات لا يزعزع لبنتها، وإلا لبقي المسلمون في الدوامة ذاتها ولا تقوم لهم قائمة في هذا الزمان حتى يسيروا على الجادة الصحيحة وتمضي أقدامهم على الطريق السليمة، فحري بكل مسلم مخلص لربه متبع للسنة ناصح للأمة أن يعمل في كل طريق صحيح تُجمع فيه كلمة المسلمين على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وأن يجتنب كل طريق يؤدي إلى الشقاق والفرقة والاختلاف وأن يكون لبنة بناء لا معول هدم، وتالله لو سعى كل مسلم في لزوم الحق والنصح للخلق متحلياً بآداب الخلاف متجملاً بحلية العلم متحرياً لطريق الحق لتقاربت كثير من القلوب المتباعدة، ولأزيل كثير من

الاختلاف والشقاق الذي يوجب العداوة والبغضاء بين القلة المسلمة، وبذلك تتآلف القلوب ويتحقق الاعتصام بحبل الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[آل عمران١٠٣]، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ قُطْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ:« يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُمَا حَبْلُ اللَّهِ الذي أمر به»[١]، ومن السنة قول النبي ﷺ: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإنَّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»[٢]، وقوله ﷺ: «يد الله على الجماعة»[٣]، وقوله ﷺ: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»[٤]، وقوله ﷺ: «لا تختلفوا، فإنَّ من كان قبلكم اختلفوا، فهلكوا»[٥]، وقوله ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا...» الحديث[٦]

إن الاجتماع على كلمة التوحيد من أعظم أبوب الخير بين يدي هذا الشهر الفضيل، وإننا ندعو باغي الخير ليُقبل على بناء صرح الجماعة المسلمة، فلقد طال بنا الضياع في متاهات الدروب، فلابد أن نرسم الطريق لفجر جديد ونسارع الخطى حثيثا نحو بناء الصرح المجيد ...

الطُّرُقُ شَتَّى وَطُرُقُ الْحَقِّ مُفْرَدَةٌ ... وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ آحَادُ
لَا يُطْلَبُونَ وَلَا تُبْغَى مَآثِرُهُمْ ... فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَّادُ
وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ ... فَكُلُّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ حُوَّادُ

[١] رواه ابن أبي حاتم برقم ٣٩١٦
[٢] أخرجه الترمذي (4/465-2165)
[٣] أخرجه النسائي (7/92-4020)،
[٤] أخرجه أحمد (30/390-18449)
[٥] أخرجه البخاري .(3/120-2410)
[٦] أخرجه مسلم .(3/1340-1715)